**أبي... من هو ميشيل سورا؟**

**أيمن الأحمد –** سوريا

موقع "الربيع الملعون"

13 آذار/مارس 2015

أتذكر جيداً هذا المشهد قبل عشرين عاماً تقريباً عندما كان والدي وصديقه المعتقل الشيوعي السابق يلعبان الشطرنج:

"ارتجاف يد صديق والدي حينما حاول تحريك أحد العساكر على رقعة الشطرنج، وهمسُ والدي له بشيء من السرية والخوف: لقد قرأت بعض ما كتب ميشيل سورا عن سوريا خلال فترة دراستي بجامعة بيروت العربية".

وككل الأشياء الغامضة في بلد مثل سوريا، لم أفهم حينها ارتباك صديق والدي المفرج عنه حديثاً من سجن صيدنايا بسبب انتمائه لحزب العمل الشيوعي من هذا الاسم، وبقي اسم ميشيل سورا محفوراً في ذاكرتي كسرّ عسكري طول سنوات عديدة.

وبموازاة الشيء الغامض الذي شكله اسم ميشيل سورا كأول اسم محظور في حياتي، شكلت حادثة أخرى أول تأريخ شخصي للخوف من السطلة، حصل ذلك عندما كنت في الصف الثالث الابتدائي، كانت الدفاتر كلها بلون واحد، هو اللون الأزرق؛ وعليها صورة حافظ الأسد عابساً ..حاولت التلاؤم مع الصورة أكثر من مرة، لكن وجه حافظ الأسد كان يثير الفزع في الطفل الذي كنته، وفجأة خطرت ببالي فكرة طفولية، وهي أن أشتري صورة لوردة وألصقها فوق صورة حافظ الأسد! وبالفعل نفذت فكرتي بحماس طفولي وشعرت بالفرح وقتها وكأن كابوساً ما قد غادر مخيلتي إلى الأبد.

مشت الأمور بشكل جيد لأيام، حتى أمسك بي طالب في الصف السادس في باحة المدرسة وأنا أراجع ما كتبت في الدفتر خلال الحصة الدراسية... وبنظرة مليئة بالخوف قال لي بصوت مرعب: ماذا فعلت بصورة حافظ الأسد؟ سيطردونك من المدرسة وسيعتقل الأمن والدك فوراً.

لأول مرة أجرب هذا الطعم المرير من الخوف، خوف من شيء غامض مرعب، لا أعرفه لكنه يحاصرني ويثير فيَّ الفزع... وبردة فعل ورغبة قوية بالبكاء نزعت صورة الوردة بسرعة من الدفتر، لكني أزلت معها بغير قصد صورة حافظ الأسد، وبدا شكل الدفتر يوحي بأن شخصاً ما قد أزال صورته قصداً!

"الحيطان لها آذان"، أول حكمة أمنية سربتها لنا السلطة القمعية في سوريا وصرنا نرددها بلا وعي، ونتعامل معها كالقاعدة منذ أكثر من نصف قرن... لا أدري كيف تسربت تلك "الحكمة" إلي بشكل شخصي لأنني لأول مرة لم أتجرأ على سؤال والدي بفضول طفولي... أبي من هو ميشيل سورا؟

كلما كنت أكبر قليلاً كانت المحظورات والأسماء الممنوعة من التداول تزداد بموازة كلمات مرعبة: كالاختفاء القسري، الاعتقال، النفي، التجريد من الجنسية، التجريد من الحقوق المدنية والسياسية، الإخوان المسلمين، رفعت الأسد، مجزرة حماة، مجزرة جسر الشغور... كلمات أصبحت سمات لذاكرة متقيحة في هذا البلد الرهيب الذي اسمه سوريا.

إضافة إلى الاسم الممنوع الأول الذي بدأ مع ميشيل سورا، تكاثرت عشرات الأسماء الأخرى، كالكاتب والمفكر برهان غليون، والروائي خليل النعيمي، والشاعر الكردي سليم بركات، والمفكر ياسين الحافظ، والمعارض السوري رياض الترك، والمخرج السوري عمر أميرلاي، وجريدة النهار اللبنانية، وجريدة المستقبل، ورواية القوقعة، ومشاهدة القنوات العراقية، وقائمة طويلة من الكتب والصحف والأسماء المحظورة، كانت بمثابة الكابوس اليومي لشاب شغوف بالقراءة والحرية.

كانت حياتنا مُسيرة على إيقاع موسيقى مارش عسكرية تختصر في الحزب الواحد، والشخص الواحد، والتفكير الواحد. أما الأغاني فهي أغاني البعث والقائد الرمز فقط... وكان التصفيق للأب القائد ولكل مقدسات السلطة المتوحشة إحدى أهم واجباتنا الوطنية اليومية.

خارج التصفيق بقيت يومياتنا أيضاً عبارة عن ترديد أناشيد البعث وحب القائد... حتى سحقت منا تلك الموسيقى والأغاني ذواتنا المقهورة أصلاً والخائفة من كل شيء، فنسينا كيف نمارس الحقيقة، نسينا أغانينا الشعبية لأنها لا ترق لمعارك السلطة المصيرية، وممنوع علينا أن نسمع الأغاني الغربية فهي عولمة لا يجب أن نقع فيها.

كنت في كل مرة أضم اسماً جديداً وكتاباً جديداً لقائمة المحظورات، ولم يختلف الأمر عند دراستي في الجامعة سوى أن زادت أسماء الكتب الممنوعة والأشخاص ومنها اسم المخرج السوري الراحل عمر أميرلاي والذي كان له الدور الكبير في كشف لغز أول اسم محظور في حياتي "ميشيل سورا" .

خلال العام 2011 حين انطلقت انتفاضة شعبية في سورية تطالب بالحرية والكرامة، شكلت المعرفة ووسائل التواصل الاجتماعي إحدى أدوات الشباب السوري لموجهة محاولات السلطة قمع الانتفاضة، تعلمنا حينها كيف نفك الحظر عن المواقع الممنوعة، وشاهدنا أفلاماً كانت ممنوعة لسنوات فقط لأنها تنتقد السلطة الحاكمة، قرأنا الصحف والكتب المحظورة وبدأنا نكتشف العالم من حولنا، وبمحض الصدفة شاهدت فيلم "في يوم من أيّام العنف العادي، مات صديقي ميشيل سورا ".

عرفت حينها كيف عمل السوسيولوجي والباحث الفرنسي ميشيل سورا، على فهم ودراسة تركيبة المجتمع والسلطة في سوريا خلال تواجده في بيروت ثمانينات القرن الماضي، وكيف كتب العديد من المقالات الجريئة والتأسيسية لفهم طبيعة السلطة القمعية في سوريا، فتسببت مقالاته باختطافه ومن ثم قتله وإخفاء جثته من قبل منظمة الجهاد الإسلامي (القريبة من إيران وحزب الله اللبناني) في العام 1985 ولم يتم الكشف عن رفاته إلا في العام 2005.

ميشيل... أثق الآن وأنت في ذلك العالم السري بأنك تقرأ ما أكتب لذلك سأخبرك بما حصل وتقاطع مع كثير من كتابتك وتحليلاتك عن سوريا.

بمكان ليس بعيد عن مكان ولادتك في بنزرت بتونس، أحرق شخص يدعى محمد البوعزيزي نفسه وحدثت في تونس ثورة شعبية نهاية عام 2010 ووصلت لنا في 15 آذار 2011، خرج الشباب السوري من أجل الكرامة والحرية، هذه الذكرى تتقاطع اليوم مع الذكرى الثلاثين لغيابك عن هذا العالم. ثلاثون عاماً ولم يحاسب أحد القتلة أحد على جريمتهم ، ثلاثون عاماً هو عمري أيضاً مع الخوف والقمع.

أعرف أن مذبحة حماة في 1982 قد هزتك حينها، ما يحدث اليوم أفظع مما حدث وقتها، هناك أكثر من ربع مليون قتيل ومثلهم في سجون الاعتقال، وملايين من النازحين والمشردين واللاجئين، هل أخبرك بأن القتلة الذين اختطفوك وقتلوك هم الآن يقتلوننا في درعا وحمص وريف دمشق وحلب؟ ربما ستقول لي إنك كنت تعرف أنهم سيقتلونك، وإن أكثر ما يؤلمك هو عدم تمكن زوجتك ماري وطفلتيك ألكساندرا و ليتيسيا من توديعك كما يليق بك، نعم ذلك مؤلم يا صديقي، لكنهم فعلوا معنا نفس الشيء، منعونا أيضاً من توديع أحبتنا الذين سقطوا في المظاهرات، كنا كلما سقط الشهيد نخرج لنشيعه يتم استهدافنا، ونصبح نحن المشيعون نبحث عن من يشيعنا.

صديقي ميشيل: أعترف لك بغياب منجزك عن كثير من المثقفين السوريين، وهذه أولى الخيانات لك، لكن نحن منذ أربع سنوات نحاول أن نكتشف العالم من جديد.

صحيح أنك كنت أول محظور حاولت السلطة أن تمنعني وتمنع السوريين من قراءته، لكن ها أنذا أكتب عنك بكل حرية ومعرفة، وصحيح أن فيلم أميرلاي ربما هو الوثيقة الوحيدة المترجمة إلى العربية عن حياتك، بالإضافة إلى عض الكتابات الصحفية من أصدقائك، لكنني قد وضعت فيلم أميرلاي على صفحتي بالفيس بوك منذ فترة، وهناك عدد جيد من السوريين تابع الفيلم وبدأ يسأل عن كتابك "سوريا الدولة البربرية" Syrie L’Etat de Barbarie الذي صدر بالفرنسية وأتمنى أن يترجم إلى العربية قريباً… لعل هذا يبقيك على قيد الحياة في قلوب السوريين الأحرار.

أخيراً، سامحني يا ميشيل لأنني تأخرت بالتعرف عليك والكتابة عنك، سامحني لأن والدي قد رحل عن هذا العالم ولم أتجرأ على سؤاله… أبي من هو ميشيل سورا؟

**Father, Who Is Michel Seurat?**

**Ayman Al-Ahmad –** Syria

Le Printemps Maudit website

13 March 2015

I remember very well this scene from 20 years earlier, when my father and his friend, the ex-communist prisoner, were playing chess.

The way my father’s friend’s hand shook while moving a pawn when my father whispered to him in secrecy and fear: “I have read some of what Michel Seurat wrote about Syria when I was studying at the Arab University of Beirut.”

And as with all the other mysterious things in a country like Syria, I did not understand, back then, why that name disrupted my father’s friend, who had recently been released from Saidnaya prison where he was detained for being a member of the Labour Communist party. The name Michel Seurat remained engraved in my memory as a military secret for many long years.

In parallel to that mysterious thing the name Michel Seurat meant to me, as the first forbidden name in my life, another incident created my first personal fear-of-authority chronicle. I was in third grade, all notebooks were blue and they had the portrait of a frowning Hafiz Al-Assad on them. I tried many times to adapt to the picture, but the face of Hafiz Al-Assad was frightening to the child I was. Suddenly it came to me; I shall buy a sticker of a rose and put it on top of Hafiz’s picture! With childish enthusiasm I carried out my plan and I was delighted, as if a nightmare had left my imagination forever.

It went well for days, until a sixth grader grabbed me at the school playground when I was reading what I had written in class. With a frightened gaze in his eyes, he said to me “What have you done with Hafiz Al-Assad’s picture? They’ll expel you from school. Security will arrest your father right away.”

For the first time ever, I felt this bitter taste of fear; the fear of something vague and horrible. I did not know what it was, but it entrapped me. With an urge to cry, I snatched the rose sticker off the notebook in a frightened reaction, but I accidentally tore off Hafiz’s picture as well, and it seemed as if someone had scratched the picture off on purpose!

“Walls have ears.” The first security-related phrase leaked to us by Syria’s oppressive authority. We monotonously repeated it, and considered it a rule for over half a century. I do not know how this rule leaked into me, because from the beginning I did not dare to ask my father who Michel Seurat was; I knew walls had ears.

More forbidden names and words came in as I grew up. Scary words: forced disappearance, abduction, exile, deprivation of nationality, deprivation of civil and political rights, Muslim Brotherhood, Rifa’at Al-Assad, Hama massacre, Jisr el-Shoghour massacre…, words that became the theme of a festering memory in this horrible country called Syria.

The first name, Michel Seurat, was followed by dozens of other names; writer Burhan Ghalioun, novelist Khalil Alno’ami, Kurdish poet Salim Barakat, Yasin Al-Hafiz, Riad Al-Turk, director Omar Amiralay, An-Nahar newspaper, Al-Mustaqbal newspaper, Mustafa Khalifeh’s novel The Shell, watching Iraqi television... A long list of forbidden books, newspapers and names that was a nightmare for a youngster with a passion to reading and freedom.

The rhythm of our lives was set by a military march tune, summarized in the one party, the one person, the one mentality. As for music, it was the music of Ba’ath Party and the Iconic Leader strictly. Applauding the Father Leader and holding anything linked to the authority as sacred were some of our most important daily national duties.

Away from applauding, our diaries were a repetitive recitation of Ba’ath Party and Hafiz Al-Assad admiring songs, until those songs crushed what had remained of our already oppressed and frightened selves. We forgot how to practice truth, we forgot our traditional songs because they did not live up to the authority’s epic victories and it was forbidden to listen to western songs. These were the sign of a globalization that we must never fall into.

I kept adding new names and new titles to the forbidden list, and it was not at all different when I went to university. The name of deceased Syrian filmmaker Omar Amiralay came out and he had the biggest role in revealing the mystery of the first forbidden name in my life: “Michel Seurat.”

In 2011 a popular uprising, demanding freedom and dignity, set off in Syria, in which knowledge and social media formed the Syrian youth’s most powerful tools for countering the regime’s attempts to suppress the uprising. Henceforth, we learned how to access blocked websites, so we could watch films that were banned for years just because they criticized the authoritarian regime. We read banned newspapers and books and we began discovering the world around us once again. Once, and by chance, I saw a film entitled: “On a Day of Ordinary Violence, My Friend Michel Seurat…”

I knew then how the sociologist and researcher Michel Seurat worked to study and understand the social and power structure in Syria during his stay in Beirut in the eighties of the last century, where he wrote many daring and foundational articles to understanding the nature of the repressive power in Syria, and how his articles caused him to be abducted and killed by the Islamic Jihad Organization (close to Iran and Hezbollah in Lebanon) in 1985, and his remains were not found until 2005.

Michel… I believe, as you are now in that secret world, that you read what I write, so I’ll tell you what happened and intersected with a lot of your writings and analyses on Syria.

Not far from your birthplace in Bizerte, Tunisia, a person named Mohammed Bouazizi burned himself to death igniting a popular revolution in Tunisia at the end of 2010, which reached us on 15 March 2011, supported by the Syrian youth who came out for dignity and freedom. This date meets the thirtieth anniversary of your absence from this world. Thirty years have passed, yet your killers have still not been held accountable for their crime. Thirty years is also my age with fear and repression.

I know that the Hama massacre, 1982, had shaken you; however, what is happening today is much more atrocious than what happened at the time. More than 250,000 have been killed, the same number of detainees are held in prisons, and millions of displaced people and refugees fled their homes. Shall I tell you that those who abducted and killed you are now killing us in Daraa, Homs, Rif Dimashq and Aleppo? Perhaps, you would tell me that you had known they would kill you, and that what hurt you most was the fact that your wife, Mary, and your daughters, Alexandra and Leticia, could not come to bid you farewell as befits. Yes it hurts, my friend, but believe me, Michel, they did the same thing to us. They prevented us from bidding farewell to our beloved who had fallen in the protests. Whenever we go out for a funeral, we become targets for their bullets, and we, mourners, end up looking for who might walk in our funeral. Michel, believe me, the whole world knows who abducted and killed you, who deprived your family of the joy of being with you, and it is him who is killing us now, but they just do not want to point at him.

My friend, Michel: I must admit the absence of your works from many Syrian intellectuals’ shelves, which is a first sign of betrayal. However, and for four years, we have been trying to discover the world again. It is true that your writings were the first to be banned by the regime trying to prevent me and other Syrians from reaching them, in order to keep us in the isolated space the regime chose for us. But look! Right now I am writing about you with complete freedom and knowledge. It is also true that Amiralay’s film is probably the only document of your life that has been translated into Arabic besides some journalistic writings of your friends. But, I have recently shared Amiralay’s film to my Facebook page, and a good number of Syrians who viewed the film began to ask about your book “Syria: The Barbarian State” (Syrie, L'Etat de Barbarie,) published in French, and I hope it would be translated into Arabic soon, which will keep you alive in the hearts of free Syrians.

Finally, forgive me, Michel, for I did neither know you nor did read your writings; forgive me for my father passed away and left this world before I could dare to ask him... Father, who is Michel Seurat?

**Papa, qui est Michel Seurat ?**

**Ayman Al-Ahmad –** Syrie

Le Printemps Maudit

13 mars 2015

C’était il y a une vingtaine d’années mais je me souviens parfaitement de la scène. Mon père jouait aux échecs avec un de ses amis, un communiste, ancien prisonnier politique. La main de cet ami trembla un peu en déplaçant un pion sur le damier quand mon père lui chuchotta discrètement d’une voix inquiète : « J’ai eu l’occasion de lire quelques articles de Michel Seurat pendant mes études à l’Université arabe de Beyrouth ».

Comme beaucoup d’autres choses obscures se déroulant en Syrie, je ne compris pas alors l’embarras de l’ami de mon père, récemment libéré de la prison de Saydnaya où il avait été incarcéré pour son appartenance au Parti d’Action communiste. Depuis ce jour, le nom de Michel Seurat est resté gravé dans ma mémoire comme s’il s’agissait d’un secret militaire.

En plus du nom de Michel Seurat, je fis moi-même l’expérience de la peur que peut susciter le régime. Ceci se déroula alors que j’étais à l’école élémentaire en classe de CE1. Tous nos cahiers, alors de couleur bleue, portaient sur la couverture un portrait fort sévère de Hafez al Assad.

Je tentais en vain et plus d’une fois d’apprivoiser cette image, mais elle me faisait toujours aussi peur. Une idée enfantine me vint soudain à l’esprit : coller dessus une vignette représentant une fleur rouge. Avec l’enthousiasme de la jeunesse, je passai à l’acte et ressentis une véritable joie de constater que le cauchemard avait disparu pour toujours.

Tout alla bien pendant quelques temps jusqu’à ce qu’un élève de CM2 me remarque dans la cour alors que je revisais mes leçons. Son regard et sa voix exprimaient la peur : « Qu’as-tu fait avec l’image de Hafez Al Assad ? Ils vont t’exclure de l’école et ton père va être arrêté par la sécurité ». Un sentiment nouveau et inconnu où dominait l’effroi m’envahit. Saisi d’une forte envie de pleurer, j’arrachai rapidement l’image, mais enlevai aussi sans le vouloir une partie de l’effigie du président. On pouvait cependant croire que cela avait été fait intentionnellement.

« Les murs ont des oreilles » était la première phrase qui s’était installée dans notre esprit sous ce régime répressif et nous n’avons cessé de la répéter machinalement jusqu’à en faire un véritable principe pendant plus de cinquante années. Je ne sais pas comment ni quand elle s’est insinuée en moi, est-ce la raison pour laquelle je n’ai pas demandé à mon père : « Papa, qui est Michel Seurat ? »

J’ajoutai d’autres noms et d’autres livres à la liste des interdits parmi lesquels celui du cinéaste syrien décédé Omar Amiralay qui joua un grand rôle dans la résolution de l’énigme liée au nom de Michel Seurat.

Au cours de l’année 2011, des soulèvements populaires réclamant la liberté éclatèrent en Syrie. La technologie et les réseaux sociaux furent un des outils utilisés par la jeunesse syrienne pour affronter le régime. A ce moment là, nous avons appris à se servir des proxies pour accéder à des sites interdits. Nous avons ainsi pu regarder des films longtemps censurés pour avoir critiqué le régime. Nous avons lu des journaux et des livres interdits et nous avons commencé à découvrir le monde. C’est ainsi que je découvris le film Jour de violence ordinaire, mon ami Michel seurat est mort.

J’y appris comment le sociologue français Michel Seurat avait tenté de comprendre et d’étudier la structure du pouvoir répressif et la société syrienne lors de son séjour à Beyrouth dans les années 80 et comment ses articles avaient entraîné son enlèvement puis sa mort et la dissimulation de sa dépouille par l’organisation dite du Jihad islamique proche de l’Iran et du Hezbollah en 1985. Ses restes ne furent découverts qu’en 2005.

Michel, je suis sûr que tu es dans l’autre monde et que tu lis ce que j’écris. Beaucoup de tes analyses sur la Syrie se sont révélées exactes. En Tunisie, à la fin de l’année 2010, pas très loin du lieu où tu es né, à Bizerte, un homme appelé Mohamed Bou Azizi s’est immolé par le feu ce qui déclencha une révolution populaire. Elle s’est ensuite propagée jusqu’à chez nous où elle est arrivée le 15 mars 2011. Cet événement conïncide avec les 30 ans de ta disparition. 30 ans et personne n’a encore demandé de comptes aux criminels. 30 ans, c’est mon âge, 30 ans de peur et de répression.

Je sais que le massacre de Hama en 1982 t’a bouleversé mais sache que ce qui se passe aujourd’hui est encore plus horrible. Plus de deux cent cinquante mille morts, autant de détenus, des millions de déplacés et de réfugiés. Vais-je te dire que ceux qui t’ont enlevé et assassiné nous tuent aujourd’hui à Deraa, à Homs et à Damas. Tu vas peut- être me dire que tu le savais et que ce qui te fait le plus souffrir, c’est de n’avoir pu dire adieu à ton épouse Marie et à tes deux filles Alexandra et Laetitia ? Oui, c’est une souffrance mais, crois-moi Michel, ils font la même chose avec nous aujourd’hui. Ils nous interdisent de prendre congé de nos proches tombés lors des manifestations. Chaque fois que nous sortons pour les porter en terre, ils nous prennent pour cible et nous en sommes à chercher ceux qui irons nous enterrer. Michel, crois-moi, tout le monde sait qui t’a enlevé, assassiné et privé de sépulture. Ce sont les même que ceux qui aujourd’hui nous tuent. Mais personne ne les inquiète.

Mon ami Michel, j’admets que tes travaux sont inconnus de la plupart des intellectuels syriens, mais depuis quatre années nous essayons de découvrir le monde par d’autres chemins. Tu fus le premier de ceux que le régime syrien essaya de m’interdire de lire. Il voulait qu’aucun de nous ne puisse te lire. Mais je suis là et j’écris sur toi en toute liberté et connaissance de cause. C’est vrai que le film d’Amiralay est le seul documentaire traduit en arabe sur ta vie avec quelques articles rédigés par tes amis. Depuis quelques temps, j’ai mis le film d’Omar sur ma page Facebook et beaucoup de Syriens le regardent et commencent à poser des questions sur ton livre Syrie, l’état de barbarie, publié en français. J’espère qu’il sera bientôt traduit en arabe, ce qui te ferait vivre dans le coeur des syriens libres.

Finalement, excuse-moi, Michel, d’avoir tant tardé à faire ta connaissance et celle de ton oeuvre. Excuse-moi, car mon père est décédé cette année et je n’ai pas osé lui poser la question : « Papa, qui est Michel Seurat ? »